العوامل المؤدية إلى ظاهرة
تأخر سن الزواج في المجتمع الجزائري

عزالدين روان
ماجستير في العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمداً الأمين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وصحابته الهداة المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالله عز وجل أمر عبادة بالزواج ورغب فيه لما فيه من المصالح العظيمة والحكم المتعددة فقال سبحانه: "فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ"{النساء/3} وقال تعالى: "وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" {النور/32}.

وقد رغَّب النبي صلى الله عليه وسلم في الزواج، وحثَّ عليه، وأمر به عند القدرة عليه، لقول النبي –صلى الله عليه وسلم– :« يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ » [متفق عليه].

–الباءة: القدرة على تحمل واجبات الزواج.

– وِجَاء: وقاية وحماية.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: « تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [رواه النسائي وأبو داود].

كما أن الزواج سنة من سنن الأنبياء والصالحين، فقد كان لمعظم الأنبياء والصالحين زوجات. وقد عنَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ترك الزواج وهو قادر عليه، ونبه إلى أن هذا مخالف لسنته صلى الله عليه وسلم، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ – رضى الله عنه – قال جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم — فَقَالَ: « أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [متفق عليه].

كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأبي الزوائد: "ما يمنعك عن النكاح الا عجز او فجور". علما بأن عمر ابي الزوائد قرابة العشرين

وقال أحمد: "ليس للمرأة خير من الرجل الصالح ولا للرجل خير من المرأة"، وقال طاووس: "المرأة شطر دين الرجل".

واستحب الفقهاء الزواج لمن كان له شهوة وقدر عليه، وأوجبوه على من خاف العنت على نفسه وخشي عليها الفساد وكان قادراً.

إلا أن تأخر زواج شباب المسلمين عموما والشباب الجزائريين على وجه الخصوص أصبح ظاهرة تزداد تفشيا في المجتمع.

فمما لا شك فيه أن العنوسة هي إحدى المشكلات الكبيرة التي تعانيها مجتمعاتنا العربية والإسلامية عامة، وهي مكمِّلة لمشكلة أخرى، هي مشكلة العزوبة عند الرجال؛ فهما مشكلة واحدة، تعني تأخر الزواج بالنسبة للفتاة والفتى.

والعنوسة لم تعد حكرا على المرأة، وإنما نال الرجل نصيبه منها، وكما يقال عن الفتاة أنها عانس، فيُقالُ للرجل "عانس" كما نقلَ ابنُ فارس في مُعْجَمِه عن الأصمعي وكفى بهما حُجة.

وقد تحولت العنوسة إلى وضع اجتماعي خطير يثير قلق الكثيرين وذلك ما تعكسه العديد من جدران المنازل التي صارت نموذجاً للوحدة والعزلة والاكتئاب، وأصبحت وصمة عار على جبين الفتيات من وجهة نظر المجتمع.. مثل البطالة للرجال.. لدرجة أن هناك سيدات وصلوا إلى سن الخمسين ولم يتزوجوا.. وبالرغم من أنهم وصلوا لمناصب هامة ومرموقة في مجتمعهم.

العوامل المؤدية للعنوسة في الجزائر

إن العلماء قد بحثوا عن الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة للحد منها، فوجدوا أنها كثيرة ومختلفة باختلاف طبيعة البلد وعادات وتقاليد وطبائع وثقافة أهله، ويمكن تلخيص معظمها فيما يلي:

1- **ضعف الوازع الديني:** إنّ أهم سبب وراء ظاهرة تأخُّر زواج الفتَيات يكمن في البُعْد عن منهج الله، وروح الشَّريعة الإسلاميَّة، وقد حدد الإسلام ما يشترط في الرجل فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ » [أخرجه الترمذي وابن ماجة]، كما حدد ما يشترط في المرأة في قوله رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « لاَ تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ وَلاَ تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ » [أخرجه ابن ماجة والبيهقي].

–خرماء: مقطوعة في الأنف ومثقوبة الأذن.

فابتعاد الناس عن الدين وضعف القيم الإسلامية في النفوس والواقع، وضحالة الثقافة الشرعية فيما يخص الولاية والزواج والمهر والتعدد والعدل أدى إلى تأخر الزواج عند كثير من شباب المسلمين.

2- حاجز المال:

فغلاء المهور يجعل الزواج يتعسر أو يتعذر على كثير من الشباب فيتأخر الزواج لذلك وهذا خلاف ما شرعه الله من تخفيف المهور قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَعْظَمَ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرَهُنَّ صَدَاقًا» [أخرجه البيهقي وأحمد]، وتزوجت امرأة بنعلين فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم نكاحها، كما أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا فَقَالَ « مَا لِي الْيَوْمَ فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ » . فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَوِّجْنِيهَا . قَالَ « مَا عِنْدَكَ » . قَالَ مَا عِنْدِى شَىْءٌ . قَالَ « أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ » . قَالَ مَا عِنْدِى شَىْءٌ . قَالَ « فَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْقُرْآنِ » . قَالَ عِنْدِى كَذَا وَكَذَا . قَالَ « فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ » [متفق عليه]، وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- « هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا ». قَالَ قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا. قَالَ « عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا ». قَالَ عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- « عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ ». [أخرجه مسلم].

وقال عمر رضي الله عنه: "أَلاَ لاَ تُغَالُوا بِصُدُقِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلاَكُمْ بِهَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَلاَ أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً" [أخرجه الخمسة وصححه الترمذي].

وكثير من الناس يغالى في المهور لمقاصد مذمومة إما متاجرة وطلبا للمال أو مفاخرة وطلبا للرياء, أو مجاراة للأعراف وإتباعا لرأى النساء، فينبغي على الأولياء التيسير في ذلك وعدم إثقال كاهل الزوج وإشغال ذمته بالديون، واللائق بالوجهاء وأعيان الناس أن يكونوا قدوة في المجتمع وأن لا يشقوا على إخوانهم الذين لا يستطيعون مجاراتهم في غلاء المهور، ومن المؤسف أن بعض الأسر تكثر من الشروط مع علمها بضعف حال الزوج والولي الحكيم هو الذي يحرص على نجاح الزواج ولا يلتفت إلى المال بل ربما أعان الزوج على ظروف الحياة، أما إذا بذل الزوج المال الكثير وكان موسرا ولم يشق عليه ذلك فلا بأس بذلك، والصحيح انه لا حد لأقل الصداق أو أكثره في الشرع .

ولكن غلاء المهور قد يكون حجة لبعض الرجال الذين يأخرون زواج لعدم قدرتهم على دفعه، ولكن في بعض مناطق الوطن كمنطقة القبائل نجد أن المهر يكون رمزيا ولكن ظاهرة تأخر الزواج تكون بنفس حجمها في لولايات الأخرى كما أن هناك مئات من العائلات على أتم استعداد لتزويج بناتهن بمهور قليلة؛ لأن الفتاة من أسرة متواضعة.

والعامل الاقتصادي له وجهان يعرقلان الزواج:

-الوجه الأول هو قلة الإمكانيات المادية للشباب.. مما جعلهم يعزفون عن الزواج لعدم قدرتهم على نفقاته.

-والوجه الآخر هو انتعاش الفتيات اقتصاديا بسبب غزوهم لسوق العمل.. وهذا جعلهم يعزفون عن الزواج وعدم الإقبال عليه إلا بشروط صعبة.

كثرة الشروط من قبل الفتاة وأهلها، وتضخيم الجانب المادي والغنى في اختيار الزوج والرضا به وعدم الاهتمام في الصفات المهمة الأخرى كالدين والخلق والكفاءة ، والشارع اعتبر في الزوج خصلتين عظيمتين، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» [أخرجه الترمذي وابن ماجة]، والعجب كل العجب ممن يزوج ابنته من لا يصلي ولا يخاف ربه من أجل غناه وكثرة ماله في الوقت الذي يرفض الرجل الصالح لعدم غناه.

فكثرة تكاليف الزواج والمبالغة فيها، كحفلات عدة، مثل حفل ليلة عقد الزواج، ومن ثم حفلة الخطوبة، ولبس الشبكة، ثم هناك حفل الزفاف للرجال وللنساء، ثم هدايا العروس في كل المناسبات الدينية والوطنية.

الزواج أصبح يكلِّف كثيراً جدّاً، وهو ما يرهق الشاب، خاصةً في بداية حياته العمليَّة، فمن أين يأتي بتكاليف الزواج الباهظة وهو يخطو الخطوات الأولى في السلم الوظيفي؟! فلابد أن يكون هناك من يساعده على تحمل أعباء الزواج.

والواقع يؤكد أن الناس هم الذين عسَّروا ما يسَّر الله – عزَّ وجلَّ – وعقَّدوا ما سهَّله الشرع؛ فالزواج في الشرع أمرٌ سهلٌ ويسير، ولكنَّ الناس هم الذين عسَّروه وصعَّبوه بما وضعوا من عقبات، وما وضعوا من تكاليف، فأصبح الشاب لا يستطيع تحمل كل نفقات الزواج.

فهذه التكاليفَ الباهظة التي تثقل كواهلهم، وتجعلهم حبيسي الدَّيْن، وربما حبيسي الغرف خلف القضبان، ولقد تكفَّل الله – سبحانه – بجعل الزواج سبيلاً إلى الغنى؛ يقول – سبحانه –: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: 32]، قال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: رغَّبهم الله – تعالى – في التزويج، ووعدهم عليه بالغنى، فقال: {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}،

عدم قُدرة الشَّابّ على النَّفقة بسبب قلَّة توفّر فرص العمل، وغلاء المعيشة، أو بسبب الرَّاتب المتدنِّي الَّذي لا يكْفي الحاجات الضَّروريَّة للأسرة؛ ممَّا يَجعل الشَّابَّ يفضِّل الزَّواج من امرأة عاملة، أو قد يضطرُّ أحيانًا للهجْرة بحثًا عن فرصة أفضل للعمَل وبأجْر أعلى، وهذا يؤدِّي إلى تأخُّر زواجه، وبالتَّالي تأخُّر زواج الفتاة، مع أنَّ الأصل في المجتمع المسلم أن يكفل لكل قادرٍ عملاً ورزقًا، ولكلِّ عاجز ضمانة للعيْش الكريم، ولكلِّ راغب في العفَّة والحصانة زوجة صالحة.

فلا بد أن لا يجعل المال عقبة في طريق الزواج المبكر فقد تكفل رب البشر وليس البشر بإعانتك، يقول رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: «ثَلاَثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالنَّاكِحُ يُرِيدُ الْعَفَافَ وَالْمُكَاتَبُ يُرِيدُ الأَدَاءَ» [رواه الترمذي والنسائي وإسناده صحيح].

3–حاجز الدراسة: يعدُّ إكمال الدراسة من الأسباب الرئيسة التي ساهمت في ظهور العنوسة وتأخُّر زواج الفتيات؛ حيث إن بعض الفتيات يُرِدْنَ إكمال تعليمهنَّ والالتحاق بوظيفة أولاً، وهو ما يؤدي إلى بقائها دون زواج لمدة طويلة".

ولم تكتف الفتيات بالتعليم فقط.. ولكن اتجهوا إلى الدراسات العليا كالماجستير والدكتوراه، والغريب أنك تجد عدد الفتيات المقبلة على تحضير الدراسات العليا أضعاف الشباب.. فأصبحت الفتاة لها أولويات أخرى غير الزواج ولم يعد دورها فقط هو انتظار ابن الحلال مثل الماضي.

كما أن وصول المرأة إلى مراحل متقدمة في التعليم قد يجعل الرجل يحجم عنها ولا يرغب بها كونها قد تضع نفسها موقع الند مع زوجها، ويرغب في الارتباط بصغيرة السن قليلة العلم اعتقاداً منه أنها أكثر طاعة ويمكن تشكيلها على الصورة التي يرغبها. وفي المقابل فإن ضعف رغبة الشباب في إكمال التعليم العالي يحدث فجوة بينهم وبين رغبة الفتيات في الحصول على درجات عليا للتعليم.

فالفجوة الثقافية التي نشأت بين الفتيات والشبان من جراء إقبال عدد متنام من الفتيات على التعليم جعل الشبان يحجمون عن الفتاة المتعلمة خوفا من تعاليها نتيجة عدم التكافؤ. وربما كان لتحرر الشبان أيضا دور في إحجامهم عن الارتباط بفتاة عربية لأنهم يرغبون في علاقات لا تتقبلها التقاليد العربية من جهة، ومن جهة أخرى تضطر الفتاة العربية حتى وان ابتعدت نظريا عن القيم السائدة في مجتمعها إلى أن تكون أكثر حذرا من الشاب وذلك لأن وضعها أكثر حساسية من وضعه والنتائج التي قد تترتب على تمردها على القيم الاجتماعية السائدة أكثر قسوة من تلك التي قد تواجه الرجل.

فالدراسة أصبحت سلاحاً ذا حدين حيث إنها تزيد فرصة الزواج وتقلله بنفس الوقت حيث إن التعليم يوسع تطلعات الفتاة ويغير نظرتها ورؤيتها للزواج ولبناء الأسرة، وترفعُ بعض الرجال عن الزواج بدعوى الانشغال بالعلم؛ وعجباً لهم فالزواج سنة إمام العلماء صلى الله عليه وسلم؛ وعزوبة قلة من

العلماء لا يقاس عليها ألبته. كما أن الفتاة تسري غريزة الأمومة في روحها قبل جسدها؟ ومن راقب طفلةً صغيرة وجد مصداق ذلك في حنانها مع ألعابها.

ورغم ذلك فإن بعض الفتيات يجدن أنه من الأهمية أن تواصل تعليمها، وتحصل على شهادات أعلى، وأن تلتحق بوظيفة ثابتة، وهذا لم يعد متاحاً الآن إلا بعد سنوات طويلة من الكفاح، خاصة في ظل صعوبات تواجه توظيف النساء والرجال، كما أن القطاع الخاص يفضل الرجال فقط، فتضطر الفتاة لأن تظل سنوات طويلة لتستقر في وظيفة محترمة، وبعد ذلك تبدأ في التفكير في الزواج.

وإذا كان مواصلة التعليم عند المرأة يؤخر نكاحها إلأ أن العليم للمرأة واجب وهذا لأن هناك دراسات أكدت أن ارتفاع نسبة الأمية يؤدى إلى عدم قدرة الفتاة على التعبير عن نفسها بطريقة سليمة وعدم قدرتها على إيجاد فرصة تعلن فيها عن مميزاتها إضافة إلى تداعيات الحياة الأسرية والتجارب الزوجية الفاشلة او نتيجة الرعب الذي أصابهن أثناء عملية الختان والخوف من ليلة الزفاف .

4– حاجز السن: فالعرف المتعلق بالسن والاختيار في الزواج يضع قيودا كثيرة تحد من فرص المرأة في الزواج أكثر من الرجل، وذلك لأن المرأة لا يسمح لها بأن تتزوج إلا من رجال يماثلونها سنا، أو يكبرونها وهذا يقلل من فرصها في الزواج.

ففي المجتمع الجزائري نلاحظ تأخر سن الزواج بالنسبة للفتاة ، وذلك بسبب التعليم الجامعي.

فالشاب يبحث عن فتاة تماثله في العمر أو تصغره ، بل في الغالب لا يرغب الشاب في الزواج من فتاة تماثله ، بل لابد أن تكون أصغر منه ، وهذا سبب في ظهور ما يسمي بالعزوف عن الزواج بالجامعيات في مجتمعنا.

ففي السابق كانت الفتاة تتزوج في سن صغيرة ولكن الآن تكمل تعليمها أصبح هناك وعي مجتمعي حيث أصبح للفتاة فرصة أكبر للنضج من أجل بناء أسرة متكاملة وتكوين بيت وأن تقوم على تربية الأجيال. والأسر الآن تعطي فتياتها فرصة أكبر لأن تكون ناجحة بما فيه الكفاية لتعمل على بناء أسرة جديدة متماسكة.

وقبل حوالي ثلاثين سنة تقريباً يندر أن تجد فتاة قد تعدت سن الثامنة عشرة ولم تتزوج، وهذه سنة مضت منذ بداية ظهور دين الإسلام فقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ولها من العمر تسع سنوات، وكذلك تزوج الصحابة رضوان الله عليهم بزوجاتهم وهن صغار في السن، ولم يكن ذلك سبباً في فشل الحياة الزوجية كما تصور ذلك وسائل الإعلام؛ إنَّ تحديدَ عُمْرٍ مُناسب للزواج أمرٌ غير ممكن؛ لأنَّه يَختلفُ من فتاة إلى أخرى، بل قد يَختلفُ حتى بين الأختين؛ ذلك أنَّ تحديد عُمْرٍ مُناسبٍ لتزويج الفتاة ليس خاضعًا لأعراف ولا لتقاليد، وليس مجاملةً لعريس يَمْلِكُ رصيدًا يَسيلُ له اللعابُ، ولا مُجاراةً لزميلاتها وصويحباتها اللواتي غَرَّدْنَ في عُشِّ الزوجيَّة قبلها،- ولا خوفًا عليها من الانحراف؛ لأنَّ انحرافها في حال فَشلِ زواجها أخطر؛ إنَّما يكون الوقتُ مناسبًا لتزويج الفتاة مَتى كانت جاهزةً للحياة الزوجية، متى تعلمتْ التغريد الكثير، من الأمَّهات من تركتْ ابنتها على الرفِّ لا تُعِدُّها لهذا العُشِّ، ولم تجهزْها للعيش فيه، ثم تَرميها في أحضان أولِ عريسٍ مُناسبٍ دون إعداد ولا تعليم ولا تأهيل، فتواجه الصعوبات، وتعارك المشكلات.

والبعض من الأمَّهات يَظنُّ أن الفتاةَ قادرة على التغريد في عُشِّ الزوجية متى تَمكَّنتْ من القيام بشؤون المنزل ورعاية الأسرة، رغم أهمية الإعداد المهني – إن صحَّ التعبير – للفتاة، إلاَّ أننا لا نعني أن تُلِمَّ الفتاة بكل شؤون المنزل، وتُجيدَ فن الطَّهي وكَيّ الثياب، وتنظيف المنزل وتَلميع المرايا، وتَنسيق التُّحف وتعطير المفارش؛ لكن يكفي أن تَعرفَ منه ما يُجمِّل صورتها أمام زوجها؛ لأنها ستتعلمُ الكثير فيما بعد، والحبُّ الذي ينشأُ بينهما لاحقًا سيدفعُها ولا شكَّ لأن تُبدعَ في رعاية شؤونه والقيام بحقه، لكنَّ المعيار الأهم هو: هل هي جاهزة نفسيًّا واجتماعيًّا للزواج للرحيل عن عُشِّ أهلها والعيش في

عُشٍّ آخر مُنفصل، تقودُه هي بعد أن كانت في عُشِّ أهلها مُقادة وهل تَعي معنى الزواج والمسؤوليات التي تَنتظرُها، وتُقدِّسُ هذه العلاقة وتعتبرها عبادةً تَتقربُ بها إلى مولاها؟ أم تَنظرُ لها أنَّها هُروبٌ من بعض المنغِّصات التي تُكَدِّر حياتها مع أهلها؟ أو تظنُّ الزواج مَلجأً تَحتمي به من نظرة المجتمع للفتاة التي يتأخَّرُ زواجُها؟ ماذا تظنُّ أنّ زوجَها يحتاج منها لتسعده؟ أتراه محتاجًا فقط إلى كلامٍ معسول ومواقف رومانسية وثياب مُغرية ومثيرة؟ أم هو يَحتاجُ مع هذا كلِّه إلى صبرٍ واحتمال للعثرة وغفران للزلَّة، وإلى تأييد ومساندة في ظروف الحياة، وتنازل وقت الأزمة، في حدود ما تَحفظُ به الحقوق الضروريَّة والواجبات الأساسية؟ ماذا يُرضيها من زوجها؟ وماذا تريد منه؟ هل هي النَّهِمَةُ الجائعة لكلِّ شيء: الحب والدلال والسَّحر الحلال، وإلى النُّزهات والرحلات والسفر في كل إجازة ومُناسبة لكلِّ أرضٍ وبلد؟ وإلى الهدايا والعطايا والمفاجآت؟- وأن يُفَرِّغَ عقله وقلبه وحتى جيبه لها هي فقط؟ هل تَنتظرُ منه الكمال وتُطالبُه بما وفَّره زوجُ الصديقة والزميلة، وقد أقسمتْ ألاَّ يفوقَها أحدٌ، ولا تتميزُ عنها مَخلوقة؟ أم هي تلك القانعة العاقلة، التي تَطلبُ ما تحتاج، وتُراعي الظروف، ولا تُقارنُ زوجَها بغيره، مُوقنةً أنَّ الاختلاف طبيعةٌ بشريَّة، وأنَّ الكمال لله – عز وجل – وحدَه، تَفرحُ بأخلاقه ومواقفه أكثر من فرحها بهداياه وهباته، وتَفخرُ باستقامته أكثر من فخرها بالمكان الذي سافرتْ إليه برفقته في الإجازة الماضية، كيف تَنظرُ للعلاقة بين الزوجين؟ مشاركة وحب؟ تعاون وألْفة؟ هل تَراها تنافسًا على القِوامة والسيادة والهيمنة؟ أم يَجبُ أن تعلمَ أنَّ القِوامة بيد الرجل، وليس لها أن تنازعَه فيها – وهذا لا يَعني أن تستسلمَ له استسلامًا تسحقُ معه كرامتها، وتدوس به كبرياءها – كيف تتعامل مع المشكلات؟ هل تُضخِّمُها، وتعطيها أكبر مما تَستحقُّ، وتَفقدُ معها توازنها، بل تَسمحُ لها أن تقتلَ الأمل فيها، وتزرع فيها اليأس، والقُنوط؟ أو تلك التي تَقفُ عاجزةً عن حلِّ المشكلات، وفَهم أسبابها، ولا تَدري كيف تستشير، ولا كيف تختار القرار؟ أم هي الواعية الناضجة التي تَرى المشكلة بحجمها الفِعلي بلا تضخيم، ولا تلوين، تلك التي تَدرسُ المشكلة، وتَتقصَّى أسبابها، وتبحثُ عن الحلول التي تنهي المشكلة، وتمحو آثارها؟ وحيث إن هذه المهارة ليس من المتوقع أن تكونَ فتاة في مُقتبل عُمرها مُتمكنةً فيها، فنسألُ: هل هي مُدركة لأهمية الاستشارة؟ والأهم: من تَستشيرُ؟ ومتى؟

كيف تنظرُ لأهل الزوج؟ وكيف تَرسمُ علاقتها بهم؟ هل تَراهم أعداء ومنافسين، أم أهلاً ومحبِّين؟ وهل تعتقدُ أن اهتمام الرجل بأهله، وقضاءه لحوائجهم، وتوفيره لمتطلباتهم علامةُ رجولة وشهامة ووفاء؟ أم تَراها مُؤشر خطر، ونذير شر، وعَرَضًا لوباء؟ من هنا يتَّضحُ أن تحديد عُمرٍ مُعين للزواج يَختلفُ باختلاف درجة النُّضج النفسيِّ والاجتماعيِّ، وليس حدًّا ائتمانيًّا، أو تاريخ صلاحيَّة يَنبغي التأكدُ من عدم تجاوزه، والأمُّ الواعية تعدُّ ابنتها لهذه الحياة، وتَسقيها هذه المفاهيم، وتُعمِّقُ لديها هذه القيم والأفكار، وتكون لها قُدوة صالحة في ذلك؛ فالفتاة تَميلُ إلى أن تَتقمصَ شخصية والدتها في حياتها الجديدة.

5- حاجز العمل: فعمل الفتاة وتبوؤها المناصب العليا يولد تخوف عند الخاطب من الارتباط بها لما يحمله شباب مجتمعاتنا من اتجاهات خاطئة تجاه المرأة العاملة وبالذات التي تتقلد المناصب العليا، تحديدا تجاه أفكارها وسمات شخصيتها وكونها ناجحة كزوجة.

والعمل يؤثر بصورة مباشرة في تأخر زواج الفتاة بسبب انغماسها في العمل ورفضها العديد من المتقدمين والخطاب وقد يرجع هذا إلى كثرة الأحلام والطموحات في زوج المستقبل والاعتقاد الخاطئ لدى بعض الفتيات أو أولياء أمورهن من أن الخاطب لديه أطماع في الراتب لذلك يتم فرض شروط عدة من الفتاة أو ولي أمرها بهدف ضمان استقلاليتها الاقتصادية

بل من المفارقات أن بعض النساء رغم أن من يتقدم لخطبتهن يكون ميسور الحال إلا أنهن يرفضن عدم التخلي عن العمل ولو كان ذلك على حساب زواجها، وهذا ما هو حاصِل في مجتمعاتِنا، فبعض الفتَيات لا يَعين المفهوم الصَّحيح للزَّواج، وأنَّه إعفاف وإحْصان، وبناء لأسْرة مسلمة، فقد طغتِ المادّيَّة، واختفت الموازين الإسلاميَّة.

فالشَّابّ مطالب بالنَّفقة، أمَّا المرأة فليستْ مُطالبة بها، وإنَّما نفقتُها على زوجِها أو ذوي قرابتِها، ولكن لبعْدنا عن المنهج الربَّاني، أصبحت المرْأة مضطرَّة للعمل أحيانًا لتضْمن لنفسها حياة كريمة!

بدأنا نرى اجتياح النساء لسوق العمل بشكل زاد من بطالة الشباب.. وبدأت الفتاة تأمن مصدر تمويل لها وفي الكثير من الأحيان تتقاضى الفتيات أجور أعلى من الشباب .

6-الضغوط الأسرية الآن أصبحت أقل بكثير عن ذي قبل.. فلم يعد وجود الفتاة في البيت هم يجب التخلص منه طالما أصبحت تخرج وتعمل.. وفي كثير من الأحيان تشارك في المصاريف.

7- الضغط النفسي للفتاة أصبح قليلاً جداً.. فالفتاة انشغلت بأشياء أخرى كثيرة ولم يعد دورها في الحياة هو الانتظار ثم الانتظار حتى يأتي العريس.

8- ارتفاع حالات الطلاق بهذا الشكل المبالغ فيه خاصة بين الشباب.. هذا جعل هناك تخوف كبير من الإقبال على الزواج حتى لا تكون نهايته الطلاق الذي هو وصمة عار أخرى على جبين النساء.. وذلك زاد من درجة الانتقاء والاختيار ومن ثم تأخر سن الزواج.

كما أن الخوف من الزواج قد يكون نتيجة الحياة المغلقة التي تعيشها الفتاة في العديد من المجتمعات العربية وعدم وجود ضمان أسري مشيرا إلى أن مقدار التعليم ونسبة جمال الفتاة تعد أيضا من الأسباب الأخرى للعنوسة.

فمرورُ أحد أقارب أو معارف الفتى أو الفتاة بتجرِبةٍ سيئة أو المشاكل الزوجية التي انتشرت بشدة بين الأزواج جعلت هناك حالة من التخوف عند النساء من الزواج.

والدراسات أثبتت أيضاً أن النساء العاملات ينظرن إلى الزواج على أنه شغل إضافي وإرهاق زائد طالما نحن مفتقدين ثقافة المشاركة.

9-بعض الفتيات يرفُضْن الزَّواج لأسباب نفسيَّة تتعلَّق بطبيعة الشخصيَّة، وكيفية التَّربية والتنشِئة، والبيئة التي نشأن فيها.

فهُناك مَن تخاف من الزَّواج ومن تحمُّل المسؤوليَّة، وهُناك من ترفُض سلطة الرِّجال عليها، وهناك مَن تخشى ألاَّ تقومَ بحقِّ زوجها، أو أنَّها تعرف من نفسِها أنَّها لن تستطيع القيام بحقِّ الزَّوج،

وقد حدث في عهْد النَّبيِّ – صلَّى الله عليْه وآلِه وسلَّم أن رَجُلا جاء إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– بِابْنَةٍ لَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ ابْنَتِي قَدْ أَبَتْ أَنْ تَزَوَّجَ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– :« أَطِيعِي أَبَاكِ ». فَقَالَتْ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَتَزَوَّجُ حَتَّى تُخْبِرَنِى مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ قَالَ :« حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ لَهُ قُرْحَةٌ فَلَحِسَتْهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ » فَقَالَتْ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ نَكَحْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « لا تَنْكِحُوهُنَّ إِلاَّ بِإِذْنِهِنَّ » [أخرجه البيهقي وابن حبان وأحمد].

وكذلك في المقابل، عزوف بعضِ الشَّباب عن الزَّواج؛ لأسباب نفسيَّة وتربويَّة ترجع لطبيعة التَّربية والبيئة التي نشَؤُوا فيها، ورفْض الفتاة الزَّواج من رجُل متزوِّج، حتَّى وإن كان هذا الرَّجُل صاحبَ دين وخلق، ولديْه القدرة الماليَّة لأن يتزوَّج بأخرى، فإنَّها ترفض فكرة التعدّد.

10– تغير مفهوم الزواج لدى الفتيات: فالفتاة لا تتزوج لمجرد الزواج مثل الماضي.. ولكن الزواج بالنسبة لها الآن هو الارتباط بشخص يعينها على النجاح وتجد التوافق بينهم ويضيف لحياتها شيئاً جديداً.

11– أنفةُ بعض النساء من الزواج تيهاً وكبراً؛ وقد رُوي في تاريخ الهند المسلمة أن الأميرةَ زينب النساء ابنة الشاه محي الدين عالمكير–وهو سادسُ حاكمٍ مغولي للهند? لم تتزوج قط لغيرتها بأن تكون ضجيعةً لأحد الرجال لأنها كانت شاعرةً تسحرُ الألبابَ وتفلقُ القلوبَ ولا تضاهيها امرأةٌ في الهند بجودة القريحة وسلامة الفكرة ولطافة الطبع.

12– التغيرات الاجتماعية: فبعض خبراء الاجتماع يُرجع انتشار العنوسة إلى التغيرات الاجتماعية العميقة التي حدثت في القيم والأعراف السائدة في المجتمع العربي في السنوات الأخيرة، مثل اللامبالاة، وعدم الرغبة في تحمل المسؤولية، والإحباط العام، وفقدان الشعور بالأمن والثقة في المستقبل, وهذه العوامل تأتي قبل العامل الاقتصادي، الذي يتمثل في الدخل المتدنِّي، وندرة فرص العمل، والبطالة المتزايدة. والبعض الآخر يرجعها إلى انهيار القيم التقليدية، ومنها تقديس العائلة, وإلى

مجموعة القيم الاستهلاكية التي طفت على السطح؛ بحيث أصبح الفرد يقاس بما يملك أو بما يدفع، إضافةً إلى غياب المفهوم الصحيح للزواج كالسكن والمودة والرحمة، وضمور معاني الأسرة في النفوس وخاصة لدى الرجال، وغياب دور الأسرة في توعية أبنائها وتربيتهم علي تحمل المسؤولية وتفهُّم معني الزواج، وإعداد أبنائها وبناتها للقيام بهذا الدور.

كما أن هناك منظومةً من القيم الضاغطة في الأسرة، تتمثل في التباهي بقيمة (الشَّبْكَة) و(المؤخَّر) و(جهاز العروسة)، وإقامة الأفراح في الأماكن اللائقة بمستوى الأسرة، مما أدَّى إلى ارتفاع تكاليف الزواج وصعوبته هذه الأيام، وبالتالي أدَّى إلى انتشار الزواج العرفي، وجرائم الاغتصاب, والشذوذ، والأزمات النفسية مع الزوج أو مع أهله، أو في مواقفها أثناء الاختلاف والشجار وغيرها، ويُمكنُ للأمِّ أن تَربطَ هذه المبادئ بسلوكيات الفتاة، وممارساتها داخل الأسرة، فتُثْني على الحسن، وتُقَوِّمَ القبيح، فإذا رأتها تُضخِّمُ المشكلات حذَّرتها، ودلَّتها على الرِّفق، وإن رأتها تتنازلُ عن حقٍّ لها؛ لتسير دفَّةُ الحياة عزَّزتها، وبذا تَصلُ الفتاة لمرحلة النضج، وأصبحت تَحملُ المؤهلات التي تُعينُها – بعد توفيق الله، جل وعلا– على التغريد في عُشِّها

13–عضل الأولياء للمرأة: العضل.. وهو الإضرار بالفتاة بمنع زواجها عقاباً أو حياءً أو حمقاً وسوء فهم وتقدير؛ وقد يكون المنع بخلاً بمالها أو خوفاً عليه؛ أو انسياقاً خلف عادات ما أنزل الله بها من سلطان، أو قصد الإضرار بأم البنت ، وانتظار تزويج الكبرى لا يسوغ الامتناع من تزويج الصغرى وتفويت الفرصة عليها وكل مكتوب له رزقه. أو بحجَّة أنَّ عليهنَّ أن يُساهمْنَ في نفقات أهاليهنَّ، وتعْليم إخوتهنَّ، يعني بعبارة أخرى: يريد الأب أن يستردَّ ما أنفقه على ابنتِه؛ بل إنَّ هناك مَن يطالب ابنتَه وحتَّى بعد أن تزوَّجتْ بما أنفقه عليْها، وهذا محرم نهي الشرع عنه قال تعالى: فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ" {البقرة/232}.

وفي هذا العمل ثلاث جنايات: الجناية الأولى على نفسه بمعصية الله ورسوله، وجناية على المرأة بمنعها من الكفء الذي رضيته ، وجناية على الخاطب بمنعه من حقه.

وإذا امتنع الولي من تزويج موليته بكفء سقطت ولايته وصارت لمن بعده الأحق فالأحق كما نص الفقهاء على ذلك وقالوا : إذا تكرر منه هذا صار فاسقا لا تقبل شهادته ولا جميع تصرفاته التي يشترط لها العدالة .

14- الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تنتشر غالباً في القرى والبادية؛ ومنها أن الفتاة يجب عليها أن تتزوج من أحد أقاربها أو أن الشاب يجبعليه أن يتزوج من أحد أقاربه دون النظر إلى الرغبة والتوافق النفسي بينهم، وأحياناً يكون ابن العم غير مستعد للزواج في هذا التوقيت، فتظل الفتاة محجوزةً له فقط، وهو لا يريدها، أو هي لا تريده، مما يِدي إلى تأخر الزاوج، وهذا التقليد موجودٌ في بلاد كثيرة. إضافة إلى حرمان الصغيرة من نصيبها بحجة وجود أختها الأكبر، إضافةً إلى بعض شروط المساواة والكفاءة في جوانب المال والتعليم والإعراض عن الزواج الجماعي أو المختصر.

15- تشدد الآباء في أمور الزواج: فالواقع أن بعض الآباء يتشدَّدون في اختيار شريك حياة ابنتهم، فهو يشترط شروطاً معينة، وكثيراً ما يأتي الخُطَّاب لابنته ويردُّهم، هذا لأنه من طبقة دون طبقته، أو قبيلة غير قبيلته، وهو ما لم يقرُّه ديننا الإسلامي الحنيف؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» [أخرجه الترمذي وابن ماجة].

16- امتناع بعض الفتيات عن الزواج لمفاهيم خاطئة وأفكار مثالية سعيا وراء الأمل المنشود الأحلام الوردية الخيالية التي ترسمها بعض البنات لشريك المستقبل؛ ومثله الصفات التعجيزية التي يطلبها الشاب في رفيقة حياته؛ وعجباً لمن يعترفُ بنقصه كيف يبحثُ عن كاملٍ يستحيل وجوده, وكل ذلك خيال قل أن يتحقق في الواقع، وكم من فتاة ندمت اشد الندم على فوات شبابها، والواجب على الفتاة عند خطبتها التعقل والمشاورة والاستخارة والموازنة بين المصالح والمفاسد والتركيز على توفر صفة الدين والخلق في الشاب .

فالفتاة لا ترضى الآن بأي أحد يطرق الباب مثل الماضي، ولكن أصبحت تضع العديد من الشروط لقبول المتقدم من حيث التعليم والمكانة الاجتماعية والتفكير إلى أخره.. وهذه الشروط أخرت كثير من سن الزواج؛ بل أن هناك من الفتيات من لا ترضى القبول بأقل من هذه الشروط فإن لم تجدها فتقرر أن تعيش حياتها بدون زواج نهائي.

فالتطلعات الواسعة للفتيات لفتى الأحلام يشكل خطورة من الناحية النفسية على الفتاة التى لها فى الأصل أحاسيس مرهفة وتشعر بالغيرة والحزن عندما ترى قريناتها متزوجات ومنجبات أطفال وهو ما يجعلها تشعر بالوحدة والعزلة .

17- إنتشار البطالة بين شباب المسلمين: (كشف تقريرٌ صدرَ عن مجلس الوحدة الاقتصادية التابع لجامعة الدول العربية أن 60% من البطالة العربية في قطاع الشباب) وقلة الفرص الوظيفية أو ضعف الدخل لدى الشاب العامل مما يجعله غير قادر على فتح بيت وتكوين أسرة ، والمسؤول عن هذه المشكلة العظيمة هو الدولة وجهات العمل والشؤون الإجتماعية. وينبغي للقطاع الخاص وذوي الغنى واليسار أن يكون لهم حضور في هذا المجال .

فارتفاع نسبة العنوسة في الالجائر يرجع إلى ارتفاع نسبة البطالة، وما يزيد من عمق المشكلة عدم وجود أي توافق بين ما تخرجه الجامعات والمعاهد من تخصصات ومتطلبات سوق العمل، فضلاً عن تفضيل القطاع الخاص للتشغيل برواتب ضئيلة جدا، ناهيك عن احتكار جنسيات بعينها لبعض الأنشطة والقطاعات الاقتصادية المحلية، بالإضافة إلى التوزيع القطاعي المختل لقوة العمل المواطنة. كل هذا يجعل المواطن أمام خيار وهو التسليم بالأمر الواقع والاستسلام للقدر والاعتماد على الأبوين في توفير متطلباته الشخصية... وفي هذه الحالة لن يسعى إلى الزواج وتكوين أسرة.

18 -فتور العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والأسر نتيجة للتطورات السريعة التي نعيشها اليوم والحياة المعاصرة التي ضعفت بسببها الصلات الاجتماعية بين الناس عن الماضي

19-عدم التَّكافُل والتَّعاون والتَّراحُم بين ذوي القُرْبى ممَّا يؤدِّي إلى تأخُّر زواج الشَّابّ غير مستطيع

النفقة؛ لأنَّه لَم يجد عونًا من قرابته، أو حتَّى من يقرضه قرضًا حسنًا، وقد يلجأ بعضُ الشَّباب إلى الاقتِراض من البنوك، أو الحصول على المال بطرق غير شرعيَّة.

20- انصراف الحكومات الإسلامية عن واجبها تجاه هذا الموضوع؛ من خلال إحصاء عدد الشباب الذين تأخر سن زواجهم، وتحفيزهم على الزواج والإنجاب، أو مساعدتهم ماديا على ذلك.

21- انتشار أنواع أخرى من "الزواج"؛ وبعضها يفتقد الأركان الشرعية للزواج مثل زواج المسيار المعروف سابقاً بزواج النهاريات. والزواج العرفي والسري في بعض الدول العربية: ولقد ترتب على انتشار هذه الظاهرة البحث عن طرق خفية وسهلة للزواج بين الشباب، مثل الزواج السري والعرفي، الذي بدأ يستشري بين طلبة الجامعات في مواجهة تعقيدات الزواج الرسمي ومتطلباته الكثيرة، كما أن هناك حالات زواج عرفي بين أصحاب الشركات وسكرتيراتهم.

كما انتشر الزواج من الأجنبيات وهو سبب ثانوي؛ والأجنبية المقصودة هنا النصرانية كما في التعريف الشرعي للأجنبي أنه أحد اثنين: إما الكافر أو مَنْ ليس محرماً.

حيث يفضل الشباب خصوصا المبتعثين للدراسة في الخارج الزواج من الأجنبية على اعتبار أن تكاليف الزواج منها منخفضة مقارنة بالزواج من فتاة جزائرية إلا أن تداعياتها خطيرة على التقاليد والأعراف والثقافة واللغة في الجزائر، وتقود في النهاية إلى أطفال "مسخ" ليس لهم ولاء سوى للمادة أو للدولة التي تنتمي إليها الأم، ما يدفع هؤلاء إلى الاستمرار في الحلقة المفرغة والزواج من أقارب الأم الأجنبية فيزداد الطين بلة.

وقد يكون الدافع للزواج بالأجنبية هو تسوية وضعية الإقامة في بلد الزوجة، للحصول على فرصة عمل في بلد أجنبي والهروب من البطالة التي لازمته في بلده الأصلي.

22- مصادمة شرع الله بالقوانين الوضعية والذهنيات: فالقانون المبكي في تونس يحرم التعدد ويعده جريمة، والقانون المضحك في االجزائر يلزمُ الزوجَ بأخذ موافقةٍ خطية من زوجه الأولى على التعدد رغم أنه حق شرعي منحه له الشرع.

فالنظرة الخاطئة عن التعدد رغم أن النساء كثر، وفي بعض الرجال عللٌ مانعة من الزواج، وما انصراف الناس عن التعدد إلا بسبب الوهم الملقى في روع الرجال والنساء، ولم تكن العنوسة مشكلة في جيل الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن بعدهم، بل كانت المطلَّقة والأرملة تتزوج بمجرد انتهاء عدتها.

فرَفْضُ التعدد من قبل الفتيات؛ والإحجامُ عنه من قبل الرجال؛ ونظرة بعض المجتمعات الإسلامية له بشيء من الريبة والتنقص، مع أن الله- سبحانه وتعالى -قد أباح التعدد وحث عليه بشروط وقيود معينة، يلزم تطبيقها حتى تتحقق الغايات الساهية من وراء التعدد، إلا أن البعض يرفض الرجل صاحب الدين والخلق الفاضل لكونه متزوجا مع توافر القدرة الدينية والمالية والصحية.

23- فقدان بعض الشباب لأهلية الزواج بسبب انغماسهم في الملذات والشهوات أو غرقهم في مستنقع المخدرات أو تلوثهم بالأوبئة الفتاكة أو كسلهم فلا تجارة ولا عمل ولا حرفة.

كما ارتباط بعض الشباب بعلاقات غير شرعية و الجري وراء الشهوات المحرمة والرغبة في الحرية والهروب من المسؤولية أو الإغترار بسراب الحب الكاذب وهذا من أعظم الفتنة ، فليتق الله الشاب وليعلم أن العمر يمضى والمال يفنى والدين يذهب والشهوة تنقضي وتعقبها حسرة وندامة ولا يزال يسعى في شؤم الذنب وجحيم المعصية ولن يهنأ أبدا ويذوق طعم السعادة إلا إذا تزوج المرأة الصالحة وسكن إليها وملأت عليه حياته وفراغه العاطفي فذاق طعم العفة واللذة المباحة , قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" {الروم/21}.

فوجود بدائلَ غيرَ شرعيةٍ للتنفيس عن الشباب؛ فكم من خليلةٍ منعت الشُبان من حليلة! كما أنَّ رواجَ سوق الفاسقات منعَ زواجَ العفيفات الطاهرات. وفي هذا السياق يبرز شذوذ الرجال وشذوذ النساء وهي مسألةٌ حرية بالدراسة.

وللسياحة الجنسية دور في تأخر لزواج؛ وذلك من خلال سفر الرجال للزنا عياذاً بالله أو سفرهم لما يتوهمونه زواجاً شرعياً وقلما يكون. وقد تكون السياحة بقدوم العاهرات للبلدان الإسلامية لممارسة البغاء ونشر الأوبئة؛ وكم من بلدٍ "إسلامي" دَبَّ فيه العهر ودرج بما لا يصلح معه إلا فتحٌ إسلامي جديد؛ وبعض البلدان الإسلامية ستكون في المستقبل القريب بؤرةً للإيدز والأمراض الجنسية على ذمة منظمة الصحة العالمية. وقد زار صحفي فرنسي بلداً إسلامياً فلما عاد من مهمته الصحفية لم يزد على أن وصف ذلكم البلد العزيز على قلوبنا بأنه ماخور؛ والمشتكى لله وحده ممن تسلطوا على عفاف المسلمات فيه.

كما أن غياب أثرِ القيِّم في أسرٍ كثيرةٍ من ناحيةِ إصلاح الأبناء والعائلة ابتداءً وتقويمهم إن حادوا عن صراط الله القويم.

24- الإعلام الفاسد المتأثر بنظريات الغرب ومبادئه الذي يبث لأبناء المسلمين أنماطا اجتماعية بعيده عن روح الإسلام وآدابه مما يجعل الفتى والفتاة يتروون جدا في قرار الزواج المبكر في الوقت الذي ينساقون وراء العلاقات الغير شرعية والأماني الكاذب كما أن الإعلام يبثِّ المفاهيم المغْلوطة عن الزَّواج والحياة الزَّوجيَّة، ومسألة تعدُّد الزوجات، وشنّ الحملات والمخطَّطات الَّتي تستهدِف القضاء على الأسرة. ويترتب عن هذا االإعلام ما يلي:

أولا. تزهيد الرجال بالنساء من خلال عرض صور الفاتنات اللاتي لا يوجد في النساء مثلهن؛ وهؤلاء النسوة يقضين ساعاتٍ طويلةً للتزين على يد خبراء في تزيين الوجوه وتزييفها؛ وأذكر أن رجلاً فتنته ممثلة؛ فجهد حتى عرف عنوانها وسافر إليها حاملاً هديةً ثمينة؛ فلما بلغ مسكنها وجده متواضعاً في حيٍّ شعبي وشاهدها بصورتها الحقيقية التي لا تلفت النظر بله الافتتان.

ثانيا. تزهيد النساء بالرجال لما يرين خلف الشاشات من صور الشباب المرفه المتأنق المثقف المقتدر مادياً و"الرومانسي" للغاية وهذا ما لا يوجد في الحقيقة.

ثالثا. الترويج للفجور والدعارة وكل قبيح من القول والفعل من خلال الإعلانات أو التعريف بالبرامج السياحية المشبوهة أو الإخبار عن طرق "الوقاية" من المرض والحمل؛ ويكفي فتنة الرجال بكل قبيح وجهه حسن ليتجشم الشبان المصاعب لبلوغ الوحل ومن خاض في الوحل تلوث.

رابعا. تحسين القبيح وتقبيح الحسن؛ ونظرةٌ واحدة لحال المعدد في التمثيليات تكفي لتشويه هذا الحل الإسلامي الفاعل لمشكلة العنوسة، وبالمقابل فنظرة للصديق مع صديقته كفيلةٌ بترويج هذا المبدأ بين المسلمين.

خامسا. عدم العناية بموضوع العنوسة وهي مشكلة عامة للجنسين؛ وإن كان حاضراً بدرجة لا تكفي وطريقةٍ غير مرضية أحياناً.

سادسا. تضخيم جانب عمل المرأة ودراستها على حساب الزواج والأسرة، ولو شُغلت الصحافة والوزارات المعنية بموضوع عمل الشباب ومقاومة بطالتهم لعالجنا مشكلة البطالة الرجالية وأكثر من نصف مشكلة العنوسة.

سابعا. إيهام المرأة باستغنائها عن الزوج؛ ولو افترضنا صحة ذلك فكيف لنا باستغنائها عن معاني الأمومة؟ سيقول لنا المرجفون: تربي طفلاً أو طفلة من مجهولي النسب؛ وحينها سنقول لهم: مَنْ الذي هيَّج غريزة والد هذا اللقيط المسكين وغريزة والدته؟ وهل ابن البطن كابن الشارع؟

ثامنا. لا توجد مساحة كافية في وسائل الإعلام للحديث عن مشاريع المساعدة على الزواج والتوفيق بين الجنسين بالحلال؛ وقد يعود السبب إلى أحادية هذه الوسائل وإقصائها المتعمد لمن تخالفه ويخالفها حتى لو كان عمله مفيداً للمجتمع بأسره.

تاسعا. إشاعة المباهاة في الزواج من خلال الإغراق في نشر صور الحفلات والدعايات حتى للأشياء التافهة كقصائد عقد القران وقصائد ليلة الزواج وغيرها.

عاشرا. سوء أفكار بعض الكاتبات والإعلاميات تجاه الأسرة والمرأة؛ وقد تتبعت حال بعضهن فوجدت منهن المطلقة ومَنْ تجاوزت الخامسة والأربعين بلا زواج ولا أعجب من رغبتهن بتعميم التجربة الفاشلة.

إحدى عشر: تعرض الفتاة والشاب إلى المؤثرات الإعلامية كالبرامج الفضائية (المسلسلات أو النجوم) والتي تغير من تطلعاتهم إلى الزواج.

25– مبادئ الأمم المتحدة: وفي الوقت الذي تكتوي فيه الدول العربية والإسلامية بنار العنوسة وسلبياتها، نجد (الأمم المتحدة) تسعى الى نشر مبادئ تتنافى مع تعاليم الإسلام، وتحارب عفة الرجال والنساء، فهي تعلن الحرب على الزواج المبكر، وتعده عنفاً موجهاً ضد المرأة، وفعلاً مذموماً ينبغي القضاء عليه نهائياً، وفى نفس الوقت تسعى لنشر الإباحية، والتأكيد على حق النساء فى إشباع احتياجاتهن الجنسية بالصورة التي يرينها، وفى الوقت الذى تقتضيه الحاجة؛ بغضِّ النظر عن المرحلة العُمْريَّة التي يمررن بها.

ففي الجزائر أكثرُ من عشر ملايين امرأة تجاوزن سن الزواج حسب إحصائيات المعهد الوطني للإحصاء؛ كما كشفت الأرقام الرسمية التي أعلنها الديوان الجزائري للإحصاء أن هناك أربعة ملايين فتاة لم يتزوجن بعد، على الرغم من تجاوزهن الرابعة والثلاثين، وأن عدد العزاب تخطى 18 مليوناً من عدد السكان البالغ 30 مليون نسمة. كما نشرت صحيفة "لاستامبا" الإيطالية في عددها أمس الأول دراسة بعنوان" :الفتيات العربيات والبحث عن زوج" شملت جوانب عدة من حياة الفتاة العربية بصفة عامة، وأوضحت أن نسبة الفتيات بالوطن العربي اللاتي تقدمت بهن سن الزواج في ارتفاع مطرد مقارنة بالعشر سنوات الماضية، ورغم ذلك فإن الأمم المتحدة ترى أن الزواج المبكر يعوق تعليم المرأة وعملها، ومن ثمَّ على الفتاة أن تقدِّم تعليمها وعملها على الزواج، فالمادة (93) من (التقرير

العالمى للمرأة) الذى عقد فى العاصمة الصينية بكين عام 1995م، وتعقد له مؤتمرات تقييمية دورية، تنصُّ تلك المادة على أن الزواج المبكر والأمومة المبكِّرة للشابَّات يمكن أن يحدَّ بدرجة كبيرة من فرص التعليم والعمل، ومن المرجح أن يترك أثراً ضارّاً طويل الأجل على حياتهنَّ وحياة أطفالهنَّ.

ونحن كمسلمين نقف من برنامج الأمم المتحدة الخاص بالمرأة موقفاً قوياً وثابتاً وشجاعاً، من منطلق قيم الإسلام العظيمة، وتشريعاته القويمة الخاصة بالمرأة والأسرة؛ فالبرامج التي تُطرح دائماً في المؤتمرات العالمية للمرأة تحمل العديد من الأفكار الهدَّامة، التي تعصف بالأسرة والمرأة والمجتمع بأسره؛ حيث يغفَل الدين في برنامج (هيئة الأمم المتحدة)، وأن ما يحتويه البرنامج من أفكار سيئة ومبادئ هدامة وخطيرة على الإنسانية بصفة عامة، وعلى البلاد النامية بصفة خاصة، والإسلامية منها بصفة أخص، هي التي قد أثارت عواصف الاعتراضات على مؤتمرات الأمم المتحدة، وساعدت على كشف الحجم الهائل من الشرور والمضارِّ التي حملتها برامجها الخاصة بالأسرة والمرأة، وخالفت بها الأديان السماوية عامة، والدين الإسلامي خاصة.

كما أن برامج الأمم المتحدة تشجع الأطفال والمراهقين والشباب – وخاصة الشابات – على مواصلة تعليمهم؛ لتهيئتهم لحياة أفضل، وزيادة إمكاناتهم البشرية؛ للمساعدة في الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة، كما يدعو إلى أن تعمل البلدان على إيجاد بيئة (اجتماعية – اقتصادية) تفضي إلى إزالة الترغيب عن الزواج المبكر.

وهذا يعني أن البرنامج يدعو إلى رفع سن الراغبين في الزواج، عن طريق محاربة الزواج المبكر لدى الشباب من الجنسين، وفي هذا معارضة صريحة لتعاليم الإسلام، التي تدعو إلى الزواج وتحثُّ عليه، ما دامت القدرة عليه قد تحققت، والاستطاعة قد تيسَّرت؛ وفي ذلك يقول تعالى: {وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: 32]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :« مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَنْكِحَ فَلَمْ يَنْكِحْ فَلَيْسَ مِنَّا »[أخرجه البيهقي والدارمي]

وكان هذا الموقف للشريعة الإسلامية من منطلق الحرص على صلاح المجتمع، وإعلاء راية العفة والطهارة في ربوعه، وسد منافذ الفساد، وإغلاق الثغرات التي يتولد منها الشذوذ الجنسي، ولن يكون ذلك إلا بالعمل على تقليل عدد العزَّاب والعوانس بين أفراد مجتمع المسلمين، كما أن تأخيره يؤدي إلى شيوع الفاحشة، ومن ثمَّ زيادة الأطفال اللقطاء، أو إباحة الإجهاض، وضياع الحقوق، وتفاقم المخاطر والمشكلات في المجتمع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة لسائر الكائنات، وعلى آله وصحبه الأئمة الهداة.